منهجية النقد عند المسلمين

:: نشأته و تطوره ::

د. فريد محمد هادي
كلية الآداب
قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية
جامعة البحرين

أثر القرآن الكريم:

إن المنطلقات الفكرية و الأسس المنهجية التي قادت هذه الأمة في مسيرتها الحضارية، و بنائها المعرفي، لهي منطلقات راسخة في مصدرها الأول؛ القرآن الكريم، الذي جمع شتات قبائل مبعثرة، متناحرة، لا رسالة لها و لا هدف. قبائل تغير بعضها على بعض. قبائل منقسمة الولاءات، لا غاية لها و لا هدف إلاّ العيش، همها قوت يومها. فأخرجها أمة واحدة، متّحدة الولاء، واضحة الرسالة، أمة ربانية، إلى خالقها تتوجه، توالي فيه، و تعادي فيه، تنشر ما أمر به في ربوع العالمين، و تزيح ما نهى عنه مما كبلت البشرية نفسها به من الظلم و الباطل و الضنك. فكانت بذلك خير أمة أخرجت للناس: " كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف و تنهون عن المنكر و تؤمنون بالله .. ".[1] بعد أن كان بناها الفكري ينطلق من روح المحافظة على القديم من تراث الآباء، روح التقليد دون تمحيص، روح التقديس لكل ما هو مأثور، ليس لشيء إلاّ لأنه قديم قد وُرِث من الآباء و الأجداد: " بل قالوا إنّا وجدنا آباءنا على أمة و إنا على آثارهم مهتدون ".[2] تبدلت هذه القبائل الشتات، بعد أن توحدت في أمة، من تلك العقلية غير الرشيدة في تقليد آبائها، إلى عقلية لا تنطلق في اقتناعها، و لا تتحرك في حياة يومها، إلا على هدى و نور و برهان. واقع متقدم راق ، واقع يرسي قواعده على دعامة من الدليل و البرهان . فالصواب و الحق و المقبول هو ما أيده البرهان ، وقوّاه الدليل: " قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ".

---

[1] سورة آل عمران آية ١١٠.
[2] سورة الزخرف آية ٢٢.

هــذه الأمة الجديدة، التي لم تعهدها جزيرة العرب من قبل، لم تقم على مجرد المشــاعر غير الملموسة، على العواطف المبعثرة، بل مارست هذه اللحمة في أروع صورها، و ثبّت نبيها صلى الله عليه و آله و سلم هذا الواقع الجديد، و و ثّق وجود هــذه الأمة الجديدة، بإعلانه قيام الأمة في ميثاق المدينة المنورة: " بسم الله الرحمن الرحــيم ، هــذا كــتاب، مــن محمــد النبي صلى الله عليه و سلم، بين المؤمنين و المســلمين من قريش و يثرب و من تبعهم فلحق بهم و جاهد معهم، إنهم أمة واحدة مــن دون الــناس... ".[٣] هذه الأمة الجديدة هي صاحبة رسالة للعالمين، تنشر الحق على بصيرة: " قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا و من اتبعني.. ".[(٤)] هذه الأمــة التــي توحــدت اتجاهاتها منذ اليوم الأول، و تيقنت أن إيمانها بهذه الرسالة الجديــدة لا يســتقيم بالالــتزام بشطر العهد " لا إله إلاّ الله "، بل لابد أن يكتمل بــ " محمــد رسول الله "، و ذلك من واقع اقتناعها و إيمانها بأنه صلى الله عليه و آله و ســلم " إن هو إلاّ وحي يوحى ".[٥] فلم تفرق بين القرآن و الحديث من حيث إنهما من مشــكاة واحــدة، و أنهمــا معــاً يشكلان المصدر الأساس للتشريع و الهداية. و أن المولــى جــلّ فــي علــيائه قد ثبت هذه الحقيقة بإشارات واضحة وصريحة باتباع الرســول: " و أطيعوا الله و أطيعوا الرسول لعلكم ترحمون "،[٦] " و ما آتاكم الرسول فخذوه و ما نهاكم عنه فانتهوا ".[٧]، و أن قبوله قبول لله، و أن رفضه رفض لله: " و مــن يطع الرسول فقد أطاع الله ".[٨] و حذر من مخالفته: " فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو عذاب أليم "،[٩] و اعتبره ضلالاً: " و ما كــــان لمؤمن و لا

[٣] عيون الأثر ١/٣١٨؛ كتاب الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام ١٦٦/١؛ كتاب الأموال لحميد بن زنجويه ٤٦٦/٢.
[٤] سورة يوسف آية ١٠٨.
[٥] سورة النجم آية ٤.
[٦] سورة آل عمران آية ١٣٢.
[٧] سورة الحشر آية ٧.
[٨] سورة النساء آية ٨٠.
[٩] سورة النور آية ٦٤.

مؤمنة إذا قضى الله و رسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله و رسوله فقد ضلّ ضلالاً مبينا ".[10] و اعتبر سبحانه عدم اتباعه قرين الكفر: " قل أطيعوا الله و الرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين "،[11] بل أقسم على كفره: " فلا و ربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت و يسلموا تسليما ".[12]

لم تكن هذه الآيات تأخذ موقعها من التأثير في وعي الأمة و مزاجها الفكري من منطلق نظري بحت، بل كانت تتعمق في كيانهم حية متفاعلة مع مجريات الحياة اليومية، فيزيدها بعداً قوياً في الثبات و الرسوخ، فقد كانت تتنزل الآيات، لتثبيت الأسس و القواعد، وهي تعالج ما يطرأ في حياتهم من أمور. فعندما أرسل رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم الوليد بن عقبة بن أبي معيط إلى الحارث بن ضرار الخزاعي رضي الله عنه والد أم المؤمنين جويرية بنت الحارث، ليأخذ منه زكاة أموال من أسلم من بني المصطلق، فرجع دون أن يلقاه بسبب ما أصابه من الخوف لعدم خروج الحارث إليه، و أخبر رسول الله بأن الحارث قاتله و رفض دفع الزكاة، فأرسل رسول الله جماعة من الصحابة إليه ليتصرفوا معه بهذا الخصوص، فتبين لهم أن الوليد لم يلق الحارث، و أن الحارث لم يرفض دفع الزكاة، فأخبروا رسول الله بذلك. فأنزل الله تعالى قوله: " يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ".[13] فكانت هذه الآية أصلاً في التثبت في خبر الفاسق، ليحتاط له، لئلا يُحكم بقوله الذي قد يكون في نفس الأمر

[10] سورة الأحزاب آية ٣٦.
[11] سورة آل عمران آية٣٢.
[12] سورة النساء آية ٦٥.
[13] سورة الحجرات آية ٤.

كاذبـــا أو مخطئاً، فيكون الحاكم بقوله قد اقتفى وراءه، و بنى موقفه على أمر غير ثابت.[١٤]

فكان هذا الطرح في التوقف في قبول حديث الفاسق، حتى يتم التبيُّن من مدى مصـــداقية الخبر، من أوائل الدروس في تمحيص الأخبار، رغم أن الوليد بن عقبة لم يـــرد أنه قد أُخذ عليه شيء في صدق نقله قبل هذا الخبر.[١٥] و هو في نظري يرجح منحى من يرى عدم قبول رواية الراوي حتى تثبت عدالته و هم جمهور المحدثين،[١٦] مقـــابل من يكتفي في قبول الراوي عدم ورود جرح بحقه، كما هو منهج ابن عبدالبر الـــذي يرى عدالة كل من اشتهر بنقل العلم.[١٧] و منطلق ابن عبدالبر هو حديثه صلى الله علـــيه و آلـــه و سلم: " يحمل هذا العلم من كل خلف عُدوله، ينفون عنه تحريف الغالين ، و انتحال المبطلين ".[١٨]

لقـــد أوجـــدت هذه الرسالة الجديدة واقعاً جديداً. أوجدت أمة جديدة، صاحبة رسالة واضحة المعالم. بعد أن كانت قبائل مبعثرة، تنطلق في قواعد تفكيرها و أنماط معيشـــتها، مـــن مخـــزونها الإرثي، من التقاليد و الأعراف التي تلقتها عن الآباء و الأجداد إرثاً مقدساً، لا تستند قداستها إلى شيء إلاّ إلى قِدَمِها. تغيرت إلى أمة نَصّ، لا تقدس أحـــداً و لا شيئاً إلاّ إذا استند على نص مقدس من قرآن كريم أو حديث

---

[١٤] أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢٧٩/٤ من حديث الحارث بن ضرار الخزاعي؛ جامع البيان ١٢٤/٢٦؛ تفسير ابن كثير ٢٠٩/٤.

[١٥] و يُفهم من مجمل روايات الطبري أن الوليد بن عقبة أُخبر بخروج بني المصطلق للقائه ففهم أنه لقاء قتال، فأخبر رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ما فهمه من الخبر، لا أنه صنع الخبر من نفسه ابتداء، فيكون الخطاب للرسول صلى الله عليه و آله و سلم و الصحابة و منهم الوليد بن عقبة رضي الله عنهم أجمعين أن يتثبتوا في قبول خبر الفاسق.

[١٦] للوقوف على أقوال العلماء فيما يتعلق بالعدالة انظر فتح المغيث ٢٤٩/١، ٢٩٦؛ ميزان الاعتدال ٤٢٦/٣ (٧٠١٥)؛ التقييد و الإيضاح ١٤٢؛ إرشاد طلاب الحقائق ٢٧٣/١؛ الإحكام لابن حزم ١١١/١، ١٠٦/٥، ١٢٤ ؛ المحلى ٥١/١.

[١٧] الكفاية ٨٧؛ مقدمة ابن الصلاح ١٠٠.

[١٨] للوقوف على أقوال العلماء حول الحديث انظر توضيح الأفكار ٩٠/٢.

محـــتج بـــه. تربت منذ اليوم الأول على روح الحفاظ على النصّ بتدوين القرآن، و تشكيل فريق لهذه المهمة، عُرِف بـــ " كتبة الوحي ". و استُحفِز إحساسها النقدي في قبول النصّ كما ذكرنا بتحذيرها من قبول رواية الفاسق.

أثر السنة المطهرة:

" إنـــي أوتيت الكتاب و ما يعدله ".[19] لقد تعامل الصحابة منذ اليوم الأول مع أقوال النبي الكريم صلى الله عليه و آله و سلم و أفعاله، على أساس أنها من الوحي الذي يشرّع، يحلل و يحرّم، يبطل و يصوِّب. لذا كان الصحابة في غاية الحرص على تلقـــي أقواله صلى الله عليه و آله و سلم، سواء في حياته أو بعد مماته. و مما يدل علـــى ذلك قول عبد الله بن عباس عن عمر قال: " كنت أنا وجار لي من الأنصار في بنـــي أمـــية بـــن زيد وهي من عوالي المدينة، و كنا نتناوب النزول على رسول الله صـــلى الله عليه وسلم، ينزل يوما و أنزل يوما، فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحـــي و غـــيره، و إذا نـــزل فعل مثل ذلك...".[20] و كان الصحابة يشدّون الرِّحال مسافات طويلة لأجل سماع ما فاتهم سماعه منه في حياته عليه الصلاة و السلام.

لقد أوضحت التوجيهات النبوية البعدَ القرآني في بناء التوجه النقدي. فأرست دعائم الدقة في التلقي و الدقة في الأداء. فكان الأصل في ذلك و القاعدة حديثه صلى الله علـــيه و ســـلم: " نضّر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها، فأدّاها كما سمعها، فربّ مُـــبَلّغ أوعى من سامع، و رُبّ حامل فقه و ليس بفقيه، و رُبّ حامل فقه إلى من هو أفقـــه مـــنه ".[21] فأصّـــل هذا الحديث النبوي أمرين هامين في المنحى الفكري لدى الصحابة و من بعدهم المسلمون ، أما الأول فهو الحرص الشديد على دقـــة التلقي

[19] رواه ابن حبان في صحيحه. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ١٨٩/١ (١٢).
[20] صحيح البخاري كتاب العلم باب التناوب في العلم ٤٦/١ (٢٧).
[21] جامع الأصول ١٠٠/١؛ جامع الترمذي باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع ٣٣/٥؛ سنن ابن ماجه باب من بلغ علما ٨٤/١؛ مستدرك الحاكم ١٦٢/١ (٢٩٤- ٢٩٧).

وحســن الاستماع لكلماته صلى الله عليه و سلم لما يستتبع ذلك من واجب الأداء و التبلــيغ، و الأمــر الثاني هو تحملّ كامل المسؤولية لما يتم تبليغه للناس من أقواله علــيه الصــلاة و السلام، تحمل المسؤولية في دقة التبليغ، و تحمل المسؤولية في ضرورة التبليغ و أهميته، لتصل النصوص إلى من لعله أكثر فقهاً، و أكثر قدرة على فهم النص. لذا حث عليه الصلاة و السلام أمته على التبليغ في نصوص أخرى حيث قال: " بلِّغوا عنّي و لو آية "،[٢٢] و قال: " ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب ".[٢٣] و زيادة على تأكيد هذا الجانب لقد توعّد عليه الصلاة والسلام من كتم ما عنده من العلم و لم يــبلّغه ، مؤصّــلاً قاعدة أخرى في الصرح الفكري لهذه الأمة ألا و هي حرمة كتمان العلــم عمن يحتاجه: " من كتم علماً ألجمه الله بلجام من نار "،[٢٤] و في رواية: " من ســئل عن علم يعلمه فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار ".[٢٥] لكنه عليه الصلاة و السلام لم يتركه دون ضابط، مما قد يدفع إلى المبالغة في التحديث خشية الدخول في الوعــيد، فــنهى عــن التحديث بكل ما يُسمع، لأن من كثر حديثه بكل ما يسمع كان مظــنة للوقوع في الخطأ، و الخطأ في نص نبوي خطأ في نص تشريعي، فإنّه ليس ككــل النصوص، و هو ما بينه الإمام مالك و هو يخاطب ابن وهب: " قال ابن وهب: قــال لي مالك: اعلم أنه ليس يسلم رجل حدث بكل ما سمع ولا يكون إماما أبدا وهو يحدث بكل ما سمع ".[٢٦] لذا قال عليه الصلاة و السلام: " كفى بالمرء كذباً أن يحدِّث بكل ما سمع ".[٢٧] قال ابن حبان: " في هــذا الخبر الزجــر للمرء أن يحــدث بكل ما

---

[٢٢] صحيح البخاري كتاب الأنبياء باب ما ذكر عن بني إسرائيل ١٢٧٥/٣ (٣٢٧٤)؛ سنن الدارمي باب البلاغ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعليم السنن ١٤٥/١ (٥٤٢)؛ مسند الإمام أحمد ١٥٩/٢، ٢٠٢، ٢١٤. انظره.

[٢٣] المدخل إلى الصحيح ٨٣.

[٢٤] صحيح ابن حبان ٢٩٧/١ (٩٥، ٩٦).

[٢٥] أخرجه الإمام البغوي في شرح السنة ٣٠١/١ (١٤٠) و قال: هذا حديث حسن.

[٢٦] مقدمة صحيح مسلم ١١/١.

[٢٧] مقدمة صحيح مسلم باب النهي عن الحديث بكل ما سمع ١٠/١ (٥)؛ و انظر مقدمة التمهيد لابن عبدالبر ١١.

يسمع، حتى يعلم على اليقين صحته، ثم يحدث به دون ما لا يصح ".[28] هذه العقلية المنهجية هي التي دفعت بعض الصحابة إلى التقليل من الرواية، و البعض الآخر إلى النهي عن كثرة الرواية بل و زجر من يُكثر، و الانشغال بالقرآن، كما كان الحال مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه. فعن عامر الشعبي عن قرظة بن كعب قال: خرجنا نريد العراق فمشى معنا عمر بن الخطاب إلى صرار فتوضأ ثم قال: أتدرون لم مشيت معكم ؟ قالوا: نعم نحن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: إنكم تأتون أهل قرية لهم دوي بالقرآن كدوي النحل فلا تبدونهم بالأحاديث فيشغلونكم، جردوا القرآن وأقلوا الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وامضوا وأنا شريككم، فلما قدم قرظة قالوا: حدثنا، قال: نهانا عمر بن الخطاب.[29]

و أضافت الأحاديث النبوية لبنة أخرى في البناء الفكري النقدي لهذه الأمة، تأصيلاً و تأكيداً لما نبه إليه القرآن الكريم من التبيّن في حديث الفاسق، فأعطى الحاسة النقدية جرعة جعلته دائم التيقظ، خشية تعرض النصوص لما يعكّر صفو نقائها بأيدي الكذبة الملفقين، الذين يتعمدون الخطأ في ما ينسبونه إليه صلى الله عليه و سلم من أقوال و أفعال، فكان التحذير منه صلى الله عليه و سلم في غاية الشدة فقال: " من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار ".[30] بل كان البيان النبوي أكثر حساسية في تأصيل الروح النقدية، و تمحيص الروايات و اختيار الرواة أنه اعتبر كاذباً من نشر رواية دون تثبت، مع ظن الراوي إمكانية أن تكون الرواية

---

[28] المجروحين ٩/١.

[29] مستدرك الحاكم ١٨٣/١ (٣٤٧) و قال: هذا حديث صحيح الإسناد؛ انظر جامع بيان العلم ١٢٠/٢.

[30] صحيح البخاري باب إثم من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم ٥٢/١ (١١٠) و انظر (١٠٦ – ١٠٩)؛ مقدمة صحيح مسلم باب تغليظ الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ٩/١ (١ – ٤).

كذبـــا، فقـــال عليه الصلاة و السلم: " من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين ".[31]

دور الصحابة رضي الله عنهم أجمعين:

حـــرص الصحابة على حديثه صلى الله عليه و سلم، فعن ابن عباس قال: " لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لرجل من الأنصار: هلم فلنسأل أصحاب رســـول الله صلى الله عليه وسلم فإنهم اليوم كثير، فقال: واعجبا لك يا بن عباس، أترى الناس يفتقرون إليك وفي الناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مـــن فيهم. قال: فتركت ذاك وأقبلت أسأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن كـــان يبلغنـــي الحديث عن الرجل فآتي بابه وهو قائل فأتوسد ردائي على بابه، يسفي الريح علي من التراب، فيخرج فيراني، فيقول: يا بن عم رسول الله صلى الله علـــيه وســـلم ما جاء بك، هلا أرسلت إلي فآتيك، فأقول: لا، أنا أحق أن آتيك، قال: فأسأله عن الحديث. فعاش هذا الرجل الأنصاري حتى رآني وقد اجتمع الناس حولي يسألوني، فيقول: هذا الفتى كان أعقل مني ".[32]

و كـــان منهم رضي الله عنهم من كان يسافر المسافات الطويلة لأجل سماع ما فاتـــه، فعن جابر بن عبدالله قال: " بلغني عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله علـــيه و سلم حديث سمعه من رسول الله صلى الله عليه و سلم لم أسمعه منه، قال: فابتعـــت بعـــيرا، فشـــددت عليه رحلي، فسرت إليه شهراً حتى أتيت الشام، فإذا هو عبدالله بن أُنَيس الأنصاري. قال: فأرسلت إليه أنّ جابرا على الباب. قال: فرجع إليّ الرسول فقال: جـــابر بن عبدالله ؟ فقلت: نعم. قـــال: فرجع الرسول إليه فخرج إليّ

[31] مقدمة صحيح مسلم باب وجوب الرواية عن الثقات وترك الكذابين والتحذير من الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ٨/١؛ شرح صحيح مسلم للنووي ٧١/١.
[32] مستدرك الحاكم ١٨٨/١(٣٦٣) و قال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري.

فاعتنقني و اعتنقته. قال: قلت: حديث بلغني أنك سمعته من رسول الله صلى الله عليه و سلم في المظالم لم أسمعه، فخشيت أن أموت أو تموت قبل أن أسمعه. فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: " يحشر اللهُ العبادَ، أو قال: يحشر الله الناس – قال: و أومأ بيده إلى الشام – عُراة غُرلاً بُهماً ". قلت: ما بهماً ؟ قال: ليس معهم شيء. قال: فيناديهم بصوت يسمعه مَن بَعُدَ كما يسمعه من قَرُبَ: " أنا الملك أنا الديّان، لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة و أحد من أهل النار يطلبه بمظلمةٍ، و لا ينبغي لأحد من أهل النار يدخل النار و أحدٌ من أهل الجنة يطلبه بمظلمة حتى اللطمة". قال: قلنا: كيف هو، و إنما نأتي الله تعالى عراة غرلا بهما ؟ قال: بالحسنات و السيئات".[33]

بل كان منهم رضي الله عنهم مَن يقطع المسافات لأجل التأكد من حديث قد سمعه بنفسه من رسول الله صلى الله عليه وسلم. فعن عطاء بن أبي رباح قال: " خرج أبو أيوب إلى عقبة بن عامر و هو بمصر يسأله عن حديث سمعه من رسول الله صلى الله عليه و سلم، فلما قدم أتى منزل مسلمة بن مخلد الأنصاري؛ و هو أمير مصر، فأخبر به، فعجل فخرج إليه فعانقه، و قال: ما جاء بك يا أبا أيَوب ؟ قال: حديث سمعتُه من رسول الله صلى الله عليه و سلم، لم يبق أحد سمعه غيري و غير عقبة، فابعث من يدلني على منزل عقبة، فأخبر عقبة به، فعجل فخرج إليه، فعانقه و قال: ما جاء بك يا أبا أيوب ؟ فقال: حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه و سلم لم يبق أحد سمعه غيري و غيرك في ستر المؤمن. قال: نعم، سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: " من ستر مؤمناً في الدنيا على خُرْبَةٍ ستره الله يوم

[33] الرحلة في طلب الحديث ١٠٩ (٣١)؛ الأدب المفرد باب المعانقة ٤٣٣/٢ (٩٧٠)؛ و انظر شرحه فضل الله الصمد ٤٣٣/٢-٤٣٦.

القيامة ". فقال له أبو أيوب: " صدقت " . ثم انصرف أبو أيوب إلى راحلته فركبها راجعاً إلى المدينة، فما أدركته جائزة مسلمة بن مُخَلَّد إلاّ بعريش مصر ".[٣٤]

تـــناقل الصـــحابة أحاديـــث الرسول الكريم صلى الله عليه و آله و سلم، يحيط عملهم تلك العقلية النقدية الحذرة المُحطاطة، حفاظاً على النصوص النبوية نقية كما سمعوها منه عليه الصلاة و السلام. و لأجل هذا الحذر من أن يدخل في حديثه صلى الله علـــيه و سلم ما ليس منه، " كان كثير من جلة الصحابة و أهل الخاصة برسول الله صـــلى الله عليه و سلم كأبي بكر و الزبير و أبي عبيدة و العباس بن عبدالمطلب يُقلـــون الرواية عنه ".[٣٥] و عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: " لولا أني أخشى أن أخطـــئ لحدثتكم بأشياء سمعتها من رسول صلى الله عليه وسلم أو قالها رسول الله ".[٣٦] وكـــان أنـــس رضي الله عنه إذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قـــال: أو كمـــا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم.[٣٧] و كان أبو الدرداء إذا حدث بحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: هذا ونحوه أو شبهه أو شكله.[٣٨] و عـــن عمرو بن ميمون قال: كنت لا تفوتني عشية خميس إلاّ آتي فيها عبد الله بن مســـعود، فما سمعته يقول لشيء قط: قال رسول الله، حتى كانت ذات عشية، فقال: قـــال رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: فاغرورقتا عيناه، وانتفخت أوداجه، فأنا رأيته محلولة أزراره وقال: أو مثله، أو نحوه، أو شبيه به ".[٣٩]

كانت الحاجة إلى التثبت في عهدهم رضي الله عنهم تنحصر في الخشية من أن يدخل في الحديث ما ليس منه سهواً و خطأً أثناء التحديث، و ذلك لعدم ظهور الكذب

[٣٤] الرحلة في طلب الحديث ١١٨ (٣٤).
[٣٥] تأويل مختلف الحديث ٣٠.
[٣٦] سنن الدارمي ٨٨/١ (٢٣٥).
[٣٧] سنن الدارمي ٩٦/١ (٢٧٦).
[٣٨] سنن الدارمي ٩٥/١ (٢٦٨).
[٣٩] سنن الدارمي ٩٥/١ (٢٧٠).

فـــيهم. يقـــول البراء بن عازب رضي الله عنه: " ليس كلنا كان يسمع حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم، كانت لنا ضيعة و أشغال، و لكن الناس لم يكونوا يكذبون يومـــئذ، فـــيُحدِّث الشاهدُ الغائبَ ".[٤٠] و عن قتادة أن " أنس بن مالك رضي الله عنه حـــدث بحديث فقال له رجل: أسمعت هذا من رسول الله ؟ قال: نعم. أو حدثني من لم يكذب، و الله ما كنا نكذب، و لا كنا ندري ما الكذب ".[٤١]

و قد أخذ التوثق من الرواية درجة أعلى عند بعض الصحابة، فقد طلب الصدّيق رضي الله عنه شاهدا يؤكد رواية الراوي، فإنه عندما جاءته الجدة تلتمس أن تورث، قال: " ما لك في كتاب الله شيئ، و ما لك في سنة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم شيئ، فارجعي حتى أسأل الناس، فسأل الناس فقال المغيرة بن شعبة: حضرت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فأعطاها السدس. فقال أبوبكر: هل معك غيرك ؟ فقام محمد بن مسلمة الأنصاري فقال مثل ما قال المغيرة بن شعبة فأنفذه لها أبوبكر رضي الله عنه ".[٤٢] و كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعاقب من يُكثر من الرواية.[٤٣] أما على بن أبي طالب رضي الله عنه، فقد كان يستحلف من يروي. قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: " كنت إذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه و سلم حديثاً نفعني الله بما شاء منه، و إذا حدثني عنه غيري استحلفته فإن حلف لي صدقته، و إن أبابكر رضي الله عنه حدثني و صدق أبوبكر..". ثم ذكر الحديث [٤٤]

---

[٤٠] انظر الجامع لأخلاق الراوي و آداب السامع؛ انظر السنة قبل التدوين " كيف كان الصحابة يتلقون السنة " ٥٧ ـ ٦٨.

[٤١] انظر الجامع لأخلاق الراوي و آداب السامع؛ انظر السنة قبل التدوين ٥٩.

[٤٢] أخرجه الترمذي في الجامع ٤١٩/٤ (٢١٠٠) باب ما جاء في ميراث الجدة؛ الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ٣٩٠/١٣ (٦٠٣١)؛ تذكرة الحفاظ ٢/١؛ و انظر المستصفى مبحث السنة، الأصل في أخبار الآحاد ١٥٣/١.

[٤٣] تذكرة الحفاظ ٧/١.

[٤٤] أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢/١من حديث وكيع؛ الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ٢/ ٣٨٩ (٦٢٣)؛ و قال ابن الأثير في جامع الأصول ٧٧/١: " كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه إذا فاته حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم، ثم سمعه من غيره، حلف الذي يحدثه به على صحته.."؛ تأويل مختلف الحديث ٣٠؛ إلا أن البخاري أنكر ذلك، انظر التاريخ الكبير ٥٤/٢ (١٦٦٣)؛ تهذيب التهذيب ٢٦٧/١، ٢٦٨.

ثم إن الصحابة رضي الله عنهم قد نقدوا الروايات بعرضها على الآيات المحكمة من القــرآن الكــريم ، و المشهور من الحديث الشريف. إلا أنهم لم يكونوا يسألون عن الــرواة، لأن الراوي إما صحابي ، أو من كبار التابعين ، و لم يظهــر فيهم الكذب. وأقوال الصحابة سابقة الذكر تؤكد ذلك.[٤٥]

و من أمثلة نقدهم رضي الله عنهم لمتون الروايات:

١) العرض على القرآن :

أ) بلغ عائشة رضي الله عنها ، أنّ أبا هريرة يقول : إنّ رسولا الله صــلى الله علــيه وسلم قال : "ولد الزنا شرّ الثلاثة " ، فقالت : رحم الله أبا هريرة ، أساء سمعا فأساء إجابة ... لم يكن الحديث على هذا ، إنّما كان رجل من المنافقين يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "من يعذرني من فلان ؟ " قيل : يا رسول الله : إنّــه مع ما به ولد زنى فقال : " هو شر الثلاثة " ، والله تعالى يقول : " ولا تزر وازرة وزر أخرى "[٤٦]

ب) عن أبي إسحاق قال : كنت مع الأَسود بن يزيد جالساً في المسجد الأعظم و معنا الشعبي ، فحدّث الشعبي بحديث فاطمة بنت قيس : أنّ رســول الله سلى الله عليه وسلم لم يجعل لها سُكْنى ولا نفقة ،

---

[٤٥] انظر توجيه النظر للجزائري ١/٥٥-٥٧.

[٤٦] الأنعام ١٦٤ . أخرجه الحاكم في المستدرك - كتاب العتق – ٢/٢١٥ . و قال: صحيح على شرط مسلم، و لم يخرجاه، و تعقبه الذهبي بأن في السند سلمة بن الفضل، لم يحتج به مسلم.

ثـم أخـذ الأسود كفّا من حصى فحصبه به ، فقال: ويلك تُحدّث بمـثل هذا ؟ قال عمر: لا نترك كتاب الله و سنة نبينا صلى الله علـيه وسـلم لقـول امرأة لا ندري لعلها حفظت أو نسيت ، لها السـكنى و النفقة ، قال الله عز وجل : " لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن إلاّ أن يأتين بفاحشة مبيّنة ".[٤٧]

جـ) عن عمرو بن دينار قال : قلت لجابر بن زيد: يزعمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن حُمُر الأهلية ؟ فقال: قد كان يقول ذلك الحكم بن عمـرو الغفاري عندنا بالبصرة، ولكن أبى ذاك البحر ابن عباس وقرأ: " قل لا أجد فيما أوحي إليّ محرّما ......" [٤٨]

٢) العرض على السنة :

عـن عبـيد بـن رفاعـة الأنصاري قال : كنّا في مجلس فيه زيد بن ثابت ، فـتذكروا الغسـل من الإنزال ، فقال زيد : ما على أحدكم إذا جامع فلم ينزل إلاّ أن يغسـل فـرجه و يتوضـأ وضوءه للصلاة ، فقام رجل من أهل المجلس ، فأتى عمر فأخبره بذلك ، فقال عمر للرجل : اذهب أنت بنفسك فأتني به حتى تكون أنت الشاهد عليه ، فذهب فجاءه به ، و عند عمر ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سـلم ، منهم علي بن أبي طالب و معاذ بن جبل ، فقال عمر : أي عُدَي نفسه تفتى الناس بهذا ؟ فقال زيد : أما والله ما ابتدعته و لكن سمعته من أعمامي : رفاعة بن رافـع ، و مـن أبـي أيّوب الأنصاري ، فقال عمر لمن عنده من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما تقولون ؟ فاختلفوا عليه ، فقـال عمر : يا عباد الله قد

[٤٧] سورة الطلاق آية ١ . صحيح مسلم – كتاب الطلاق – باب المطلقة ثلاثة لا نفقة لها ١١١٨/٢
[٤٨] الأنعام :١٤٥ . صحيح البخاري ٢٣٠/٦ باب لحوم الحمر الإنسية؛ تفسير القرطبي ١١٧/٧

اختلفتم و أنتم أهل بدر الأخيار ، فقال له علي : فأرسل إلى أزواج النبي صلى الله علــيه وسلم ، فإنه إن كان شيء من ذلك ظهرن عليه ، فأرسل إلى حفصة ، فسألها فقالــت : لا علم لي بذلك . ثم أرسل إلى عائشة فقالت : إذا جاوز الختان الختان فقــد وجــب الغسل" فقال عمر عند ذلك : لا أعلم أحداً فعله ثم لم يغتسل إلاّ جعلته نكالاً ".[٤٩]

٣) التحليل العقلي :

أ) في المثال السابق من حديث أبي هريرة " أنّ ولد الزنا شر الثلاثة " كان من تعليق ابن عباس عليه عندما بلغه أن قال : " لو كان شرّ الثلاثة لم استؤني بأمه أن ترجم حتى تضعه".[٥٠] و هذا ردّ منطقي على حديث أبي هريرة ففي قصــة المــرأة الغامديــة أنها جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، " فقالت : يا رسول الله إنّي قد زنيت فطهرني، و إنّه ردّها ، فلما كان الغد ، قالــت: يــا رسول الله لم تردني ، لعلك أنْ تردني كما رددت ماعزا ، فوالله إنّــي لحبلى ، قال : أما لا فاذهبي حتى تلدي ، فلما ولدت أتته بالصبي في خِــرقة ، قالت : هذا قد ولدته ، قال : اذهبي فارضعيه حتى تفطميه ، فلما فطمته أتته بالصبي في يده كسرة خبز ، فقالت : هذا يا نبي الله قد فطمته ، و قــد أكل الطعام ، فدفع الصبي إلى رجل من المسلمين ، ثم أمر بها فحفر لها إلى صدرها و أمر الناس فرجموها ...".[٥١]

---

[٤٩] الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة للزركشي، تحقيق سعيد الأفغاني ص ٧٨.
[٥٠] الإجابة ١٢٠ .
[٥١] صحيح مسلم مع شرح النووي ٢٠٢/١١ .

فمنطق ابن عباس و حجته العقلية أنّ ولد الزنا لو كان شرّ الثلاثة لما تم تأخير الحدّ على الغامدية حتى تضعه و تفطمه ، و لكان أقيم عليها الحد و هو في بطنها.

ب) عـن أبـي هريـرة أنّه قال : " من غسّل ميتا اغتسل ، ومن حمله توضأ "، فـبلغ ذلـك عائشة رضي الله عنها ، فقالت : " أوَ نجس موتى المسلمين ؟ وما على رجل لو حمل عوداً ؟ "[٥٢]

بدء الكذب في الرواية في أواخر عهد الصحابة:

إلاّ أن الأمـر لـم يدم على ما كان عليه، و كانت الأيدي الخفية تعمل لإضعاف هذا الصرح الذي دكّ عروش الباطل، و داس بنيان الظلم و الطغيان، و عرّى الباطل و كشـف عن سوأته، فكان أن امتدت تلك اليد الآثمة بخنجر مسموم في ذلك الجسد الطاهر الذي طالما ارتعدت فرائص الكفر كلما سمعوا بذكره، فكان أول باب كسر في صـرح الإسلام هو قتل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه و أرضاه. إلاّ أن الأمـة اسـتمرت في استقرار طوال العقد الأول من خلافة سيدنا عثمان بن عفان رضـي الله عنه. حتى إذا كانت الفتنة بمقتله، تفرقت الأمة و تحزبت شيعاً، و ظهرت الفـرق و الـتحزبات، و ازدادت الحالة بمقتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، و دخـل بعض المندسين في صفوف المسلمين، و نشطت عملية الوضع في الحديث، و الكذب في الرواية نصرة للمذهب.

و في هذه المرحلة، كان لزاما على منهجية النقد أن تتصف بدرجة من الوعي و الإحكام أرقى من الفترة السابقة. فما كان صغار الصحابة يقبلون الرواية إلاّ إذا

---

[٥٢] الإجابة ١٢١-١٢٢

بيّـن الراوي ممن سمع إلى أن يرفعه إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم. قرأ بن عباس " وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم..."[٥٣] فقال: " كنا نحفظ الحديـث، والحديث يحفظ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى ركبتم الصعب والذلـول ".[٥٤] و فـي روايـة أخرى عن ابن عباس قال: " كنا نحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ لم يكن يكذب عليه، فلما ركب الناس الصعب والذلول تركنا الحديـث عـنه وصـلى الله على محمد وآله وسلم ".[٥٥] و كان المنهج كما قال ابن عـباس: " إنـا كنا مرة إذا سمعنا رجلا يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، ابـتدرته أبصارنا، وأصغينا إليه بآذاننا، فلما ركب الناس الصعب و الذلول، لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف ".[٥٦]

فقد بدأ الصحابة بنقد الرواة، فقد تكلم في الرجال كل من ابن عباس، و عبادة بـن الصـامت، و أنس بن مالك، و أم المؤمنين عائشة، و غيرهم رضي الله عنهم أجمعين.

دور التابعين و أتباع التابعين:

واصـل الـتابعون سير الصحابة في نقد الرواة و التوثق من الرواية، و كان على رأس التابعين في النقد أبوالعالية الرياحي (ت ٩٣هـ).[٥٧]. و عروة بن الزبير (ت ٩٤ هـ).[٥٨] و سعيد بن المسيب (١٣ – ٩٤ هـ). قال مالك بن أنس: " قال سعيد بن المسيب : إن كنت لأسـير الأيام و الليالي في طلب الحديث الواحـد ".[٥٩]

[٥٣] سورة آل عمران آية ٧.
[٥٤] مستدرك الحاكم ١٩٦/١ (٣٨٣) و قال الحاكم: هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين.
[٥٥] مقدمة صحيح مسلم ١٣/١؛ مستدرك الحاكم ١٩٦/١ (٣٨٤).
[٥٦] مقدمة صحيح مسلم ١٣/١.
[٥٧] تذكرة الحفاظ ٦١/١ (٥٠).
[٥٨] تذكرة الحفاظ ٦٢/١-٦٣ (٥١).
[٥٩] الرحلة في طلب الحديث ١٢٧ (٤١).

وسعيد بن جبير (٤٥ – ٩٥ هـ). و أبو عمرو عامر بن شراحيل الشعبي (١٧ – ١٠٣ هـ). و الحسن البصري (٢٢ – ١١٠ هـ).[٦٠] و قد تكلّم في عطاء الخراساني و في عكرمة مولى ابن عباس.[٦١] و أبوبكر محمد بن سيرين (٣٣ – ١١٠ هـ). قال ابن سيرين: " لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم ".[٦٢] و كان ابن سيرين يقول: " إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذونه ".[٦٣] و كان ينتقد الرواة فيقول: " إن الرجل ليحدثني بالحديث فما أتهمه و لكن أتهم مَن حدثه، و إن الرجل ليحدثني بالحديث فما أتهم مَن حدثه و لكن أتهمه هو ".[٦٤] و عطاء بن أبي رباح (ت ١١٤ هـ).[٦٥] و ابن شهاب الزهري (٥٠ – ١٢٤ هـ).[٦٦] و مالك بن دينار (ت ١٢٧ هـ)،[٦٧] و غيرهم.

إلاّ أن أقوال التابعين كانت قليلة لقلة الضعفاء في وقتهم، فهم إمّا يروون عن الصحابة، و هم عدول بتعديل الله تعالى لهم، و إما يروون عن التابعين أمثالهم، و لم يكن قد فشى فيهم الكذب بعد. و كانوا رضي الله عنهم كسلفهم يقطعون الفيافي لأجل الحديث الواحد.

ومع مرور الأيام، و توالي السنين، كانت الأمور تؤول إلى الأسوأ من حيث زيادة عدد الضعفاء بين الرواة، و الكذبة على رسول الله صلى الله عليه و سلم، إلا أنه بالمقابل، زادت قواعد النقد إحكاما و دقة. ففي أوائل القرن الثاني الهجري وُجد

---

[٦٠] تذكرة الحفاظ ٧١/١-٧٢ (٦٦).
[٦١] المنهج الإسلامي في الجرح و التعديل ٣٠.
[٦٢] مقدمة صحيح مسلم ١٥/١.
[٦٣] المجروحين ٢١/١.
[٦٤] المجروحين ٢٣/١.
[٦٥] سير أعلام النبلاء ٧٨/٥-٨٨ (٢٩).
[٦٦] سير أعلام النبلاء ٣٢٦/٥-٣٥٠ (١٦٠).
[٦٧] سير أعلام النبلاء ٣٦٢/٥-٣٦٤ (١٦٤).

مـــن يروي المرسل و المنقطع، و وُجد الضعفاء من صغار التابعين. و في منتصف القـــرن الثاني الهجري زاد أهل البدع، و كثرت الفرق، و ظهر تعمد الكذب، فاضطر الأئمة إلى توسيع النظر، و الاجتهاد في التفتيش عن حال الرواة و نقد الأسانيد.[٦٨]

و لما كان عند انقراض عامّة التابعين في حدود الخمسين و مئة، تكلم طائفة من الأئمة في التوثيق و التضعيف.[٦٩] فكان على رأس طبقة أتباع التابعين في نقد الروايات و الرواة، و تحمل المشاق في سبيل التأكد مما ينسب إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم شعبة بن الحجاج (٨٢ - ١٦٠ هـــ).[٧٠] قال أبو الحارث الوراق: جلسنا على باب شعبة نتذاكر السنة، فقلت: " حدثنا إسرائيل عن أبي إسحق عن عبدالله بن عطاء عن عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه و سلم قال: ((مَنْ توضأ فأحسن الوضوء دخل من أيّ أبواب الجنة شاء)). فخرج شعبة بن الحجاج و أنا أحدث بهذا الحديث فصفعني، ثم قال: يا مجنون، سمعتَ أبا إسحق يحدث عن عبدالله بن عطاء عن عقبة بن عامر، فقلت: يا أبا إسحق: سمعتُ عبدالله بن عطاء يحدث عن عقبة بن عامر ؟ قال: سمعتَ عبدالله بن عطاء. قلتُ: عبدالله سمعَ عقبة بن عامر ؟ فقال: اسكت. فقلتُ: لا أسكت، فالتفت إليَّ مسعر بن كدام فقال: يا شعبة، عبدالله بن عطاء حيٌّ بمكة. فخرجتُ إلى مكة فلقيتُ عبدالله بن عطاء، فقلتُ: حديثَ الوضوء. فقال: عقبة بن عامر؟ فقلتُ: يرحمك الله، سمعتَ منه ؟ قال: لا، حدثني سعد بن إبراهيم، فمضيت، فلقيت سعد بن إبراهيم، فقلتُ: حديثَ الوضوء، فقال: من عندكم خرج. حدثني زياد بن مخراق، فانحدرتُ إلى البصرة، فلقيتُ زياد بن مخراق و أنا شحب اللون، وسخ الثياب، كثير الشعر، فقال: من أين ؟ فحدثته الحديث. فقال: ليس هو من حاجتك. قلتُ: فما بد. قال: لا، حتى تذهب تدخل الحمام، و تغسل ثيابك ثم تجيء فأحدثك به. قال: فدخلت الحمام، وغسلت ثيابي ثم أتيته، فقال: حدثني شهر

[٦٨] انظر المنهج الإسلامي في الجرح و التعديل ٣١.
[٦٩] انظر المتكلمون في الرواة للسخاوي ٨٨؛ ذكر من يعتمد قوله في الجرح و التعديل للذهبي ١٦٢.
[٧٠] تذكرة الحفاظ ١٩٣/١ (١٨٧).

بن حوشب، قلتُ: شهر بن حوشب عمّن ؟ قال: عن أبي رَيحانة. قال: قلتُ: هذا حديث صعد ثم نزل. دمّروا عليه، ليس له أصل ".[٧١]

و هذا المثال يوضح مدى حرص شعبة على حفظ الحديث النبوي من أن يدخله مـا لـيس منه. و قد عُرف شعبة بشدته في ذلك رحمه الله و رضي عنه. و كان لا يطمئـن لحديث الشخص حتى يسمع منه مراراً، ليتأكد من ضبطه و حفظه. فقد سأل أبـو الوليد هشامُ بن عمار شعبة عن حديث، فقال: " والله لا حدَّثْتُك به، لم أسمعه إلاّ مـرّة ".[٧٢] و قد ترك حديث راوٍ، و عندما قيل له في ذلك، قال: " رأيته يزن إذا وزن فيرجح في الميزان، فتركت حديث ". [٧٣] فكانت خطوة منهجية منه في ترك رواية من يكـذب علـى الناس و إن لم يثبت عليه الكذب في الرواية. و قيل له في شخص آخر تـركه، فقـال: " رأيـته يُركض دابّته، فتركت حديثه ".[٧٤] فكانت هذه لبنة أخرى في مـنهجه الـنقدي، و ذلك بترك الراوي إذا أتى ما يخرم مروءته. و هكذا كانت حلقات المنهج النقدي تتكامل جيلاً بعد جيل.

و كذلـك نقد الرواة سفيانُ بن سعيد بن مسروق الثوري (٩٧ – ١٦١ هـ). قـال شـعبة و يحـيى بن معين: " سفيان أمير المؤمنين في الحديث ". و كان شعبة يقـول: " سـفيان أحفـظ مني ". و قال أحمد: " لم يتقدمه في قلبي أحد ". و قال ابن المبارك: " لا أعلم على وجه الأرض أعلم من سفيان ".[٧٥]

[٧١] المجروحين ٢٨/١.
[٧٢] المجروحين ٣١/١.
[٧٣] المجروحين ٣٠/١.
[٧٤] المجروحين ٣٠/١.
[٧٥] تذكرة الحفاظ ٢٠٣/١ (١٩٨).

و مالك بن أنس (٩٣- ١٧٩هـ). قال عبدالله بن أحمد: قلت لأبي: " من أثبت أصحاب الزهري ؟ قال: مالك أثبت في كل شيء ". و كان عبدالرحمن بن مهدي لا يقدم على مالك أحداً. و قال الشافعي: " إذا ذكر العلماء فمالك النجم ". و قال الشافعي: " لولا مالك و ابن عيينة لذهب علم الحجاز ". و قال الشافعي: " ما في الأرض كتاب في العلم أكثر صواباً من موطأ مالك ". و قال القعنبي: " كنت عند ابن عيينة فبلغني نعي مالك، فحزن و قال: ما ترك على ظهر الأرض مثله ". و كان إسحق بن إبراهيم يقول: " إذا اجتمع الثوري و مالك و الأوزاعي على أمر فهو سنة و إن لم يكن فيه نص ". و كان معن يقول: " كان مالك يتحفظ من الياء و التاء في حديث رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ".[٧٦] و كان مالك كشعبة ترك رواية من يكذب على الناس و إن لم يثبت عليه الكذب في الرواية. و عبارته في ذلك: " لا يؤخذ العلم عن أربعة: سفيه يعلن السفه، و إن كان أروى الناس، و صاحب بدعة يدعو الناس إلى هواه، و من يكذب في حديث الناس، و إن كنت لا أتهمه في الحديث، و صالح عابد فاضل إذا كان لا يحفظ ما يحدث به ".[٧٧] و هذه العبارة من الإمام مالك تضيف أموراً فيمن لا تقبل روايته، و يزيد منهج النقد إحكاماً، فلا قبول من سفيه، و لا قبول من صاحب هوى مبتدع يدعو الناس إلى هواه و بدعته، و لا قبول ممن ليس من أهل الصنعة، و يخشى أن لا يضبط ما يقول، و إن كان من أصلح الناس في ذات نفسه.

و ابن عيينة (١٠٧ - ١٩٨ هـ).[٧٨] و يحيى بن سعيد القطان (١٢٠ - ١٩٨ هـ)، و عبدالرحمن بن مهدي (١٣٥ - ١٩٨ هـ). فمن جرحه يحيى بن

---

[٧٦] تذكرة الحفاظ ٢٠٧/١ (١٩٩).
[٧٧] سير أعلام النبلاء ٦٦/٨ (١٠).
[٧٨] انظر تاريخ خليفة بن خياط ٤٦٨، ٣٣٨.

سـعيد القطـان و عبدالرحمـن بـن مهدي لا يكاد يندمل جرحه، و من وثقاه فهو المقبول.[٧٩]

بجهـود هذه الثلة المباركة و بجهود من سبقهم من صحابة رسول الله صلى الله علـيه و آلـه و سلم، أخذت أركان قواعد منهج النقد ترسخ و تتأصل. و لم ينته القرن الثاني الهجري إلا و كثير من قواعد النقد قد تناقلت بين أهل الشأن، للتحري و التثبـت مـن صحة الروايات المنقولة. إلا أن كثيرمنها لم يدون، بل كان محفوظاً في الصدور، و متداولاً بين العلماء.

دور العلماء في القرن الثالث:

مـع أواخـر القرن الثاني، و مجيء القرن الثالث ، أخذت الأقوال في الجرح والـتعديل تُـدوّن. و ظهرت الكتب و المصنفات في الجرح و التعديل و العلل. و هذه هـي فترة الإمام البخاري و لإمام مسلم و شيوخهما. و قد ذكر السخاوي ثلاثة عشر إمامـاً في الجرح و التعديل من طبقة شيوخ البخاري،[٨٠] أما الذهبي فقد بلغ بهم إلى أكـثر من مئة.[٨١] و يأتي على رأس هذه الطبقة أبوزكريا يحيى بن معين (١٥٨ – ٢٣٣هـ) ، و أبـو الحسـن علـي بـن المدينـي (١٦١ – ٢٣٤ هـ)، و أبوعبدالرحمـن محمـد بـن عبدالله بن نُمَير (ت ٢٣٤)، و أبو يعقوب إسحق بن راهُية (١٦١ – ٢٣٨ هـ)، و أبوعبدالله أحمد بن حنبل (١٦٤ – ٢٤١ هـ).

[٧٩] المتكلمون في الرجال للسخاوي ٩٠.
[٨٠] المتكلمون في الرجال للسخاوي ٩٣- ٩٦.
[٨١] ذكر من يعتمد قوله في الجرح و التعديل ١٧٢- ١٧٨.

و عــن هؤلاء و غيرهم من الأئمة تلقى الأئمة الذين دونوا مدونات الحديث الشريف علــم الجرح و التعديل ، فصانوا به الروايات ، مثل الشيخين الإمام البخاري و الإمام مســلم، و قد فاق الإمام البخاري الكثير من شيوخه في العلم بشهادتهم له، كما شهد له بذلك شيخه علي بن المديني.



قائمة المراجع

القرآن الكريم

ابن الأثير، أبو السعادات مجدالدين المبارك بن محمد (٥٤٤ – ٦٠٦ هـ):

١- جامع الأصول في أحاديث الرسول. تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط. طبعة ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩م. نشر و توزيع مكتبة الحلواني & مطبعة الملاح & مكتبة دار البيان.

أحمد بن حنبل،أبوعبدالله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (١٦٤ – ٢٤١ هـ):

٢- المسند. الطبعة التركية.

البخاري، أبوعبدالله محمد بن إسماعيل الجعفي (١٩٤ – ٢٥٦ هـ):

٣- التّاريخ الكبير. توزيع دار الباز للنشر و التوزيع - عباس أحمد الباز - مكة المكرمة.

٤- صحيح البخاري. تحقيق الدكتور مصطفى ديب البغا. الطبعة الثالثة - ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م. دار ابن كثير - بيروت - لبنان.

٥- صحيح البخاري. المكتبة الإسلامي - محمد أوزدمير - استانبول - تركيا. ١٩٧٩.

٦- الأدب المفرد. الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ . دار المطبعة السلفية - القاهرة.

الترمذي، أبوعيسى محمد بن عيسى بن سورة (٢٠٩- ٢٧٩ هـ):

٧- جامع الترمذي. تحقيق أحمد محمد شاكر و آخرون. دار إحياء التراث العربي. بيروت.

٨- جامع الترمذي مع شرحه تحفة الأحوذي. عني بنشره الحاج حسن إيراني. دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان.

الجزائري، طاهر الجزائري الدمشقي (١٢٦٨ – ١٣٣٨ هـ):

٩- توجيه النظر إلى أصول الأثر. عناية فضيلة الشيخ عبدالفتاح أبوغدة.مكتبة المطبوعات الإسلامية- حلب - الطبعة الأولى – ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥م.

الجيلاني، فضل الله:

١٠- فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد. تقديم و تخريج محب الدين الخطيب. الطبعة الثالثة ١٤٠٧ هـ. المكتبة السلفية – القاهرة.

الحاكم النيسابوري، أبوعبدالله محمد بن عبدالله (٣٢١ – ٤٠٥ هـ):

١١- المستدرك على الصحيحين. تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا. الطبعة الأولى – ١٤١١هـ - ١٩٩٠م. دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.

١٢- المدخل إلى الصحيح. تحقيق الدكتور ربيع بن هادي المدخلي. الطبعة الأولى – ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م. مؤسسة الرسالة – بيروت لبنان.

ابن حبان، أبوحاتم محمد بن حبان البستي (ت ٣٥٤ هـ):

١٣- صحيح ابن حبان، بترتيب علاءالدين علي بن بلبان الفارسي(ت ٧٣٩ هـ). تحقيق شعيب الأرنؤوط. الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م. مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان.

١٤- صحيح ابن حبان. تحقيق شعيب الأرنؤوط. الطبعة الثانية- ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان.

١٥- المجروحين من المحدثين و الضعفاء و المتروكين. تحقيق محمود إبراهيم زايد. دار المعرفة- بيروت.

ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي (٣٨٦ – ٤٥٦ هـ):

١٦- الإحكام في أصول الحكام. تحقيق أحمد شاطر. تقديم الأستاذ الدكتور إحسان عباس. الطبعة الأولى – ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م. دار الآفاق الجديدة – بيروت – لبنان.

١٧- المحلى. تحقيق أحمد شاكر. دار آفاق الجديدة - بيروت - لبنان.

حمادة، فاروق:

١٨- المنهج الإسلامي في الجرح و التعديل: دراسة منهجية في علوم الحديث. الطبعة الثانية - ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩م. دار المعرفة للنشر و التوزيع - الرباط.

ابن خزيمة ، أبوبكر محمد بن اسحاق (٢٢٣-٣١١هـ):

١٩- صحيح ابن خزيمة. تحقيق الدكتور محمد مصطفى الأعظمي. ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م. المكتب الإسلامي - بيروت.

الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (٣٩٣ - ٤٦٣ هـ):

٢٠- الرحلة في طلب الحديث. تحقيق نورالدين عتر. الطبعة الأولى - ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م. دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

٢١- الكفاية في علم الرواية. دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

٢٢- الجامع لأخلاق الراوي و آداب السامع. تحقيق الدكتور محمود الطحان. مكتبة المعارف- الرياض- ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

خليفة بن خياط، أبو عمرو شباب العصفري (ت ٢٤٠ هـ):

٢٣- تاريخ خليفة بن خياط. تحقيق الدكتور أكرم ضياء العمري.الطبعة الثانية - ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م. دار طيبة للنشر و التوزيع - الرياض.

الدارمي، أبومحمد عبدالله بن عبدالرحمن (١٨١ - ٢٥٥ هـ):

٢٤- سنن الدارمي. تحقيق فواز أحمد زمرلي & خالد السبع العلمي. الطبعة الأولى - ١٤٠٧ هـ. دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان.

الذهبي، أبوعبدالله محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ):

٢٥- ميزان الاعتدال في نقد الرّجال. تحقيق علي محمد البجاوي. دار المعرفة للطباعة و النشر- بيروت- لبنان.

٢٦- الرّوات الثّقات المتكلَّم فيهم بما لا يوجب ردَّهم. تحقيق محمد إبراهيم الموصلي. الطبعة الأولى ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م. دار البشائر الإسلاميّة- بيروت- لبنان.
٢٧- سير أعلام النبلاء. تحقيق صالح السّمر. إشراف شعيب الأرنؤوط. الطبعة السابعة ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م. مؤسسة الرسالة - بيروت.
٢٨- تذكرة الحفاظ. دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان.
٢٩- ذكر من يعتمد قوله في الجرح و التعديل. تحقيق فضيلة الشيخ عبدالفتاح أبوغدة رحمه الله. الطبعة الثالثة- ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م. مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب.

الزركشي (٧٩٤هـ):

٣٠- الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة للزركشي . تحقيق سعيد الأفغاني.

السخاوي، شمس الدين محمد بن عبدالرحمن (٨٣١ - ٩٠٢ هـ):

٣١- فتح المغيث شرح ألفية الحديث للعراقي. طبعة ١٩٨٣ م. دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
٣٢- المتكلمون في الرجال. تحقيق فضيلة الشيخ عبدالفتاح أبوغدة رحمه الله. الطبعة الثالثة - ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م. مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب.

ابن سيد الناس، أبو الفتح محمد بن محمد بن محمد (٦٧١ - ٧٣٤ هـ):

٣٣- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل و السير. تحقيق الدكتور محمد العيد الخطراوي & محيي الدين مستو. الطبعة الأولى - ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م. مكتبة دار التراث - المدينة المنورة & دا ابن كثير - دمشق - بيروت.

ابن الصلاح، أبوعمر عثمان بن عبدالرحمن الشهرزوري (٥٧٧-٦٤٣ هـ):

٣٤- علوم الحديث. تحقيق الدكتور نور الدين عتر. طبعة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م. المكتبة العلمية - بيروت - لبنان.

الأمير الصنعاني، أبوإبراهيم محمد بن إسماعيل (١٠٩٩ - ١١٨٢ هـ):

٣٥- توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار. تحقيق أبوعبدالرحمن صلاح بن محمد بن عويضة. الطبعة الأولى- ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م. دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

الطبري، أبوجعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد (٢٢٤ - ٣١٠ هـ):

٣٦- جامع البيان عن تأويل آي القرآن. طبعة ١٤٠٥ هـ. دار الفكر - بيروت - لبنان.

ابن عبدالبر، أبوعمر يوسف بن عبدالله النمري (٣٦٨- ٤٦٣هـ):

٣٧- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد. تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي & محمد عبدالكبير البكري. ١٣٨٧هـ. وزارة عموم الأوقاف و الشؤون الإسلامية. المغرب.

٣٨- جامع بيان العلم و فضله.

العراقي، زين الدين عبدالرحيم بن الحسين (ت ٨٠٦هـ):

٣٩- التقييد و الإيضاح لما أطلق و أغلق من مقدمة ابن الصلاح. تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان. طبعة ١٩٨١م. دار الفكر - بيروت - لبنان.

العسقلاني، شهاب الدّين أبوالفضل أحمد بن علي بن حجر(٧٧٣-٨٥٢هـ):

٤٠- تهذيب التهذيب.الطبعة الأولى ١٣٢٦هـ. مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند.

الغزالي، أبوحامد محمد بن محمد بن محمد (٥٠٥هـ):

٤١- المستصفى. دار إحياء التراث العربي - بيروت.

ابن قتيبة، الدينوري (ت ٢٧٦ هـ):

٤٢- تأويل مختلف الحديث. دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان.

القرطبي، أبوعبدالله محمد بن أحمد الأنصاري (ت ٦٧١هـ):

٤٣- الجامع لأحكام القرآن. دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان- الطبعة الأولى - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

ابن كثير،أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤):

٤٤- تفسير القرآن العظيم. ١٤٠١ هـ . دار الفكر - بيروت - لبنان.

ابن ماجه، أبوعبدالله محمد بن يزيد القزويني (٢٠٧ - ٢٧٥ هـ):

٤٥- سنن ابن ماجه. تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي. دار الفكر - بيروت - لبنان.

محمد عجاج الخطيب:

٤٦- السنة قبل التدوين.الطبعة الثالثة- ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م. دار الفكر - بيروت - لبنان.

مسلم، بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري (٢٠٦ - ٢٦١ هـ):

٤٧- صحيح مسلم. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان.

النووي، أبوزكريا يحيى بن شرف بن مري (٦٣١ - ٦٧٦ هـ):

٤٨- شرح النووي على صحيح مسلم. الطبعة الثانية - ١٣٩٢ هـ. دار إحياء التراث العربي- بيروت - لبنان.

٤٩- إرشاد طلاب الحقائق إلى معرفة سنن خير الخلائق صلى الله عليه وسلم. تجقيق عبدالباري فتح الله السلفي. الطبعة الأولى - ١٠٤٨ هـ - ١٩٨٧م. مكتبة الإيمان - المدينة المنورة.